

الكينونة لا- كينونة

Being is no Thing

بسرني سليمة: طالبة دكتوراه/ جامعة الجزائر:02

إشراف: نعيمه حاج عبد الرحمن/ جامعة الجزائر:02

Summary

On the light of the great question of being, Martin Heidegger wanted to focus on the connexion between being, thought and poesis. Especially between ordinary language and authentic speech

Poetry is the right saying to explain the problematic of being. what is the role of poem and what is the link between the thought of the Ereignis and the foundation of being as a saying of poet? These questions will guide us to understand the traditional philosophy and obligate us to back to the Greek thought of Parmenides and Heraclites. The dialogues between Heidegger and the first resources of philosophy clarify the forgetfulness of being Heidegger think that remembering this question can bring us to understand the meaning of the truth of being

The poetic language is in the care of being that's why it is its house

مقدمة

مارتن هيدغر 1889-1975 Martin Heidegger هو ذلك الطائر الذي خرج عن السرب. فكل طائر يحلق يحمل فوق أجنحته سرّ إمكانية طيرانه عاليا. وسر عدم قدرته على التحليق. تماما كطائر لالباتروس (L' albatros) الذي كتب فيه بودلار (Baudelaire) شعرا. وكل سائر فوق أرض ثابتة مستقرة يريد أن يدرك خطواته الأولى. لأن كل بداية هي بداية تخفي سرا. سر أربنا طويلا. سر ألقنا لأنّه يأبى الإفصاح عن نفسه. وكلّ منسحب متخفّي يجذب الاهتمام. وكلّما طال اختفاؤه، زاد سر اهتمامنا وانجذابنا إليه. هناك علاقة خفيّة تجمعنا بالظاهر وغير الظاهر. هو خيط رفيع تنسجه أحيانا خيوط من نور وأحيانا أخرى يعتّم عليه ظلام الليل الحالك. يفصلنا عن التحجب تارة فيحجبه عنا ويجمعنا بتجليه تارة أخرى فيكشفه لنا. إنّها لعبة التجلي والاختباء. ولكنّ هذا الذي يحسبه هيدغر مسؤولا عن الانسحاب لا يكشف لنا إلّا ما يريد له هو أن ينكشف. فهل يمكن أن نكون بعد كل ما اخترنا ورأينا من أشياء وكأننا لم نر شيئا؟ ممكن. هل يمكن أن يكون كل ما في العالم مجرد طيف أو سطح لنظير يأبى أن ينكشف؟ ممكن. هل يمكن أن يكون بتكشّفه، على حسب قول صاحب لغة التخفّي والغموض "هيدغر" إلغاء لخصوصية، لا يحقّ لها أن تظهر؟ ممكن. ولكن، ما هو هذا السرّ الخطير والمرعب الذي لا ينبغي له أن ينكشف؟ وكلّما أصرّ على بقائه بعيدا متخفّي زاد إصرار الكائن- هنا¹ على كشفه والاقتراب منه أكثر فأكثر. رغم أنه يدرك أنّه خط أحمر ولا يملك سبيلا للوصول إليه. ورغم معرفته هذه إلّا أنّه يجد نفسه مقحما بلا إرادة في دائرة من التساؤلات التي لا حلّ لها. إنّ ذلك الملقى في الوجود. هل يمكن أن يكون هذا الإصرار على الاقتراب أكثر فأكثر دليل على أن هذا الكائن- هنا يحمل في أعماقه بعضا من غموضه؟ أو بعضا منه؟ ولأجل هذا يصّر على المكوث في جواره، ليحفظ أسرار. يحرسها ويحميها؟ ممكن. هل يمكن لهذا السرّ مهما كان اسمه والذي لا نعرف كيف نسّي به شخصه، أن يكون إلّاها؟ ممكن.

هل غياب الطويل يستحق منّا الانتظار؟ فانتظار العدم قهر واستسلام. ولكن إذا كان العدم (وجود بالقوة وهو نمط من أنماط الوجود) لا يساوي لاشيء، ففي انتظاره متعة. وهل يعقل أن يكون للإنسان إلّاها ولا يهلكه؟ هو الذي يرفض الموت ويمجد الحياة؟ ممكن. هل يمكن للإنسان أن يحيا ليموت؟ ممكن. هل الإنسان في جوهره كالموت كالولادة كالزمن. لا يتكرر مرتين؟ ممكن. هل يمكن لأحدهما أن

¹ الكائن- هنا ترجمة للكلمة الألمانية دارين (Dasein) ويقصد بها هيدغر الإنسان (الكينونة- هنا) هذا اللفظ لا يعني فقط حضورا عاديا بسيطا ولكن أيضا حدث الغياب والحضور والنسيان، هذا الحدث لا يأتي فقط بـ "هنا" كأى شيء أرضي ولكن الكائن- هنا لأنّه كائن مؤقت في الزمان أي أنّه متناهي. سماه هيدغر فيما بعد بـ La clairière ضوء الكينونة لأنّه بعد المشي طويلا في الغابة كثيفة الأشجار التي يخيم عليها الظلام تبدأ ألوان الأشجار تفتح شيئا فشيئا لتترك مجالا لدخول ضوء أو الإنارة وهذا قبل أن يخيم عليها الظلام من جديد. Lichtung كذلك عن موت شيلير 1927 قال هيدغر:

"لم يلبث طريق الفلسفة حتى انطفأ في العتمة من جديد" مأخوذة من كتاب غادمير طرق هيدغر ص. 34 الفلسفة ليست عملا انساني بل هي درس تاريخ الحقيقة (حقيقة الكينونة) مأخوذة من كتاب مشاكل الفينومينولوجيا الأساسية لمارتن هيدغر ص 142

يكون من دون الآخر، هل يمكن لأحدهما أن يتخلى عن الآخر ليحقق ذاته بعيدا، دون أدنى شرط أو قيد؟ ممكن. هل يمكن أن يكون قدر الإنسان أن يحيا حياة غير مكتملة؟ ممكن. ولكن إذا كانت حياته غير مكتملة، فهي منقوصة والفقد عجز. فلا نصف الطريق يوصل إلى أي مكان ولا نصف الفكرة ينتج معنى.

كيف ينبغي لنا أن نفكر؟ وكم من الأيام والسنين، إن لم نقل كم قرنا من الزمان يكفي لنفكر ولنمعن النظر، فنحس بإجابة تزيج عنا غيمة هذا الغموض الذي يسكننا ونسكنه. و لكننا نجعل حقيقة. فهل يمكن أن نسكن بيتا لا نعرف أركانه وزواياه؟ ممكن.

إن تصفحنا أوراق الكتب، أنقرأ السطور والكلمات، أنصدّق السواد المكتوب على بياض ناصع، أم نقرأ ما تخفيه العتمة؟ هل يمكن أن تكون الكلمة الشعرية، هي لحظة الولادة؟ لحظة يتردد فيها الشاعر بين الكلام والصمت، لأنه يدرك كلّ الإدراك أنّ أخطر لحظة هي لحظة الإفصاح والقول؟ ممكن. هل الشاعر هو الإنسان الوحيد الذي يعيش مغامرة ممتلئة، لأنه يقول ما لا نجرأ نحن على قوله؟ ممكن. ولكن للصمت أيضا هيئته. فإذا لم يكن هناك مبرر لتفسير صمت الأموات، فنحن دائما في حاجة لتفسير صمت الأحياء، فالصمت أيضا يحمل بين ثناياه معنى. وأي معنى؟ ولكن هل يمكن كسر القواعد والمبادئ، واستبدالها بما يقابلها؟ ممكن.

لقد قال جبران خليل جبران، أن الحزن والفرح وجهان لعملة واحدة. كيف لا والقيثارة التي تسكن إليها نفسك، هي نفسها قطعة الخشب التي حفرها سكين. فهل التقابل مرض خطير أم فضيلة كبرى؟ هل فيه رفض ونفور أو عشق وإنجذاب؟ هل يقف التقابل وقفة العاجز كامرأة تقف بين رجل تحبه ورجل يحبها؟ أم أنّه محرّك يحركنا ولا نسأل كيف ولماذا، لأننا لم نسأل كيف يمكن للضعف والألم أن يمنحنا القوة؟

إنّها "وردة" أونجليس سيليسيوس

الوردة موجودة، لأنّها موجودة. دون أن نسأل لماذا؟

هي تزهر لأنّها تزهر، لا تقلق بشأن ذاتها

ولا ترغب في أن يراها أحد¹

هل يمكن أن يستيقظ الإنسان كل صباح كسجين هارب، يردّد في أعماقه مهرولا، أين أنا؟ كيف وصلت إلى هنا؟ وهل يمكن أن يعيدني قدري إلى جدران سجن، فتخرج أمامه كل عذابات الدنيا وأشباحها. وعوض أن يفرح بنور الصباح، أن يستيقظ ويرى صورته المبتسمة على زجاج نافذته، وهو يتمتع بضوء الشمس، بزقزقة العصافير، بصفاء السماء وزرقتها من فوقه، عوض أن يجلس مستأنسا

¹ Martin Heidegger, *Le principe de la raison*, Galimard, 1962, p. 104,

Angelus Silesius, « La rose est sans pourquoi, elle fleurit parce qu'elle fleurit, elle ne soucie d'elle-même, elle ne désire d'être vue »

بأحبائه من حوله، في أول ساعة من ساعات الضياء والهباء، يتفاسمون قطع الخبز المحمصة وفناجين الشاي الأخضر. إذ يتحوّل فجأة صباحه إلى ليل موحش، وحلمه إلى كابوس مرعب. وكأنه حلم مستحيل. يستحيل أن يكون واقعا. فيرفع ناظريه إلى سماء الليل، وفجأة يذهله جماله. فرغم ظلامه الشديد، تملأه وتيره نجوم ومجرات، ترقص على أنغامه وتتأرجح في أرجاء يميننا وشمالا. فيتخيّله للحظة كفستان أسود. فستان سهرة أنيق. وما أجملها من امرأة، من المؤكد أنها امرأة فاتنة، تلك التي ترتدي فستانا أسودا، تزيّنه تفاصيلها الخجولة تحت السواد. فتبرز جمالها متممّة، تلك الأحجار الكريمة اللامعة النيرة، فيكاد يخطف لمعناها الأبصار.

هل ألجأ إلى البحر، لأسأله عن أغواره رغم شفافيته الطاغية؟ هل يمكن أن تكون حياتنا كسطح هذا البحر؟ وهل نحن أيضا جزء منه؟ أم أن هذا السطح هو نحن؟ سطح يشبه بيتا يملأه الغبار، وسكنته الحشرات في غياب أهله؟ فمتى يلتفت العمق لينظر إلى السطح؟ أم أنه على السطح أن ينزل إلى العمق؟ هل أنتظره، أم ينبغي عليّ أن أبحث عنه لأجده؟ أم أنني أبحث عنه لأنه موجود؟ فنحن لا نجرأ على التساؤل ولا نهمس حتى مجرّد الهمس لنقول: كيف أوجدنا ما لا يوجد؟ ولكننا نشعر به. إنّه رنين ملتصق بأذاننا ولا يتوقف عن مناداتنا.

هل يمكن أن يكون كل فهمنا للتاريخ خاطئ؟ ممكن

هل يمكن لصورة الماضي البعيد، أن تبقى أسيرة أطر الأبيض والأسود؟ ممكن

هل يمكن أن يفقدها قدرها في الأمس واليوم وغدا ألوانها؟ ممكن.

فلطالما تحدثنا عن تجمّع الإنسان بالإنسان، ولكننا لم نتحدّث يوما حول ماذا يجتمعون؟ فيحيا ويموت الإنسان غريبا.

هل يمكن أن يستأنف الإنسان ما فاتته قبل ميلاده؟ وهل يمكن أن نولد لنموت؟ وأن نموت دون أن ننتهي؟ هل يمكن أن نرفض الموت ونمقته لنمجد الحياة؟ ممكن

هل نهرب منه ونتنكر له لنحيا؟ ممكن

هل يمكن أن نصل إلى معرفة مختلفة، لم يسبق لغيرنا ممّن سبقونا الوصول إليها؟ ممكن
كل هذه الإمكانيات في تقابلاتها وتناقضاتها وانسجامها، كلّها ممكنة. كلّها قيد القبول والامكان والتحقيق. فهل نسكن دائرة الانفتاح والتحوّل؟ فلا ينفتح العالم إلا لمن ينفتح له وإن كان هذا هو مأوانا فكيف لنا أن نمسك بهما (الانفتاح والتحول) ونحن ندرك أنّ كلاهما يخاصم الثبات؟ فالأول، أفق لطبيعة تأبى حرّيتها الجدران والقضبان. والآخر طفل يلهو بلعبة، يطرحها جانبا كلّما سئما ليطلب غيرها. إذ يقول في هذا المعنى هيروقليدس:

" الزمان طفل يلهو"¹

¹ Martin Heidegger, *Héraclite*, Galimard, P. 110

فمنذ أن وطأت أقدام الإنسان المتفرّد هذه الأرض، وهو لا ينفكّ يطرح الأسئلة ذاتها. لم يمل ولم ييأس يوما من طرحها. وقد أنهكه الطريق الطويل والشاقّ بدون جدوى. لماذا وجدت وكيف؟ ما هي حقيقتي وما حقيقة ما يجري من حولي؟ كيف وانطلاقا من ماذا تتحدّد ماهيتي؟ ولكن قبل أن يطرح الإنسان هذه الأسئلة، كان عليه أن يسأل نفسه إن كانت هذه المعرفة يمكنها أن تجد سبيلا للوصول إليه. إذ ينبغي قبل طرح الأسئلة أن نعرف حدودنا وحدودها ونحدّد أهدافنا، هل المعرفة في حدّ ذاتها هي غايتنا؟ أم وسيلة لغايات أخرى؟ أم هي رغبة في المآنة بالحديث وفنون الكلام هروبا من الوحدة والوحشة؟ هل الحقيقة منفصلة عني أم هي جزء مني؟ هل تسكنني أم أسكنها؟

لو كانت هناك إمكانية لجمع محاولات المفكرين منذ البدايات الأولى مروراً بكل المراحل التي عرفها (اختبرها) هذا الكائن عبر التاريخ انطلاقاً من الإنسان البدائي الذي لم يكن يعرف عن التقنية شيئا ولم تكن الرفاهية التي وصل إليها الإنسان المعاصر اليوم تعنيه على الإطلاق. فإننا سنحصل على رصيد هائل من الإجابات المختلفة التي لم ولن تروي ظمأ الإنسان المتعطّش إلى المعرفة. وما زال الإنسان يواصل بحثه الطويل والمستمر وما زال السؤال يعيد نفسه من جديد. فكل عقدة يعجز الإنسان عن حلّها ويظن أنها الحدود التي يجب أن يتوقف عندها ولا يمكن تجاوزها، يليه في زمن لاحق مفكّر آخر ينجح في حلّها. ولكنه هو الآخر سيصادف في طريقه عقداً أخرى وهكذا. وهذا دليل على أنّ المعرفة لم تكتمل ولن يكتمل الإنسان إلا باكتمالها. فكلاهما محكوم بقانون التطوّر والتغيّر. فأيّ مرتبة نصنّف فيها المعرفة اليوم؟ وماذا عن الإنسان، ما هي حقيقته؟ هل تجاوز مرحلة الطفولة أم أنه أصبح هرما وبدأ بالانحدار. هل تعرّف على إنسانيته؟ هل تجاوز بربرية الأمس وشيئيته اليوم؟ وماذا عن الغد؟ إنّ السؤال هو السؤال نفسه. سؤال أصيل استطاع أن يحافظ على ثباته رغم التقلبات والتناقضات التي تملأ العالم، ممّا يجعلنا نتساءل إن كان هذا الثبات (ثبات السؤال) يقابله ثبات في مكان ما. مكان يجد الإنسان نفسه عاجزا على الوصول إليه؟

هل ينبغي أن نتقبل عجزنا ونكفّ عن طرح السؤال نفسه؟ أم نمضي قدما تحملنا روح المجازفة والمغامرة، من موجة إلى أخرى، متأمّلين غير آبهين بالعواقب؟

لقد بدأ تاريخ الفكر يكتب أسطره الأولى برسومات على الصخور والجبال، وكأنّ الإنسان مجبول على ترك بصماته وآثاره، أثناء وجوده في التاريخ (إنه تراث البشر)، فهو يعلم مسبقا بأنه كائن تاريخي غير أزلي محتوم بالفناء. ربّما هي رغبة في الخلود أو هوس السرمدية أو أنّه خوف من المجهول أو حبّ في مجاورة المألوف وما نعرف أو ربّما هي ذاكرة الغد التي يحفظها بداخله.

هي رغبة طبعنا (جلبنا) عليها أم أنّها ألفة وتداوت الأشياء فيما بينها؟ أم أنّه حب للذات قبل كل شيء؟ لماذا نفكّر في الأشياء ولماذا نفكّر في الآخر ولماذا نفكّر في العالم؟

إن انفتاح الكائن-هنا، على العالم المقذوف فيه قذفا دون رغبة أو اختيار أو إرادة يعبر عن إمكانية الفهم وقدرته على التساؤل. هذا الكائن، هو كائن مندهش من غرابة الكون. تجاوزت دهشته كل

الحدود. فذهب يبحث في العلاقات التي تربط الحاضر بالغائب، علاقة المرئي باللا مرئي، علاقة الظلام بالنور، فهل هناك إمكانية لوجود رابط بين الشيء ومقابله؟

لقد تجاوز الإنسان النور ليدخل عالم الظلام. ليس رغبة منه في محو السواد وإزالة كل غموض يخفيه. هذا الجزء المظلم من العالم، غموض يشبه ستارليل ألقى سدوله فكلما اقتربنا منه، ازدادت الهوة اتساعا وزاد السواد شدة فنبتعد عنه أكثر فأكثر. أفق مفتوح على الظلام هو سواد مخيف ولكنه سواد جميل كثوب سهرة ترتديه امرأة فاتنة. لونه الأسود يزيد من بريق أحجاره الكريمة التي تزيّنه. جمال مضاعف ولكنه جمال مخيف لأننا نجهل ما يخفيه. فهل نهّم باكتشاف أسرارها؟ أم نكتفي بالنظر؟ فلربما من الحكمة أن لا نبحث ولا نسأل عن المتخفي وراء هذا السواد الأعظم لأنه يريد أن يحتفظ بهذا السرّ لنفسه؟ ربّما يحجبه عنّا لأنه يعلم أن شعاع النور المنبثق عن السواد يذهب الأبصار ثمّ كيف أوجدنا ما لا يوجد وهمنا للبحث عنه؟ فكل معرفة لا بد لها أن تمرّ على عملية الإدراك بنوعيه الحسي والعقلي. مع العلم أننا نعلم قبليا أن الأشياء التي ندركها محكومة بشرطي الزمان والمكان إذ لا يعقل أن يوجد شيء لا يشغل حيزا في المكان والزمان. ولكن إذا كانا هذان الشرطان هما اللذان يحكمان عالم الحس الظاهر، فما هي الشروط التي تحكم عالم الحس المتخفي؟

إن هذا العالم المنسحب المتحجّب عن النظر، يقول هيدغر، هو "عالم الكينونة" ويتّهم الفلاسفة والمفكرين بنسيانها. ولكن هل هو نسيان أم تناسي؟ أم هو اعتراف بعجزهم على التقاطها والتقبض عليها؟

يقول برمينيدس: "ما هو كائن هو كائن ولا يمكنه ألا يكون، وما هو غير كائن هو غير كائن ولا يمكنه أن يكون". هو قول يدلّ على ثبات الأشياء. ويؤكد أيضا معلّنا الأول /أرسطو أن الشيء هو ذاته، ولا يمكن أن يكون نقيضه، هو بحث عن الثبات في قلب الفوضى. وهي إمكانية غير متوفرة. فعالم الأشياء لا يعرف الاستقرار. هو عالم متقلب متغيّر باستمرار (هيرقليدس). لا حظ هيدغر أن الأشياء تولد من عدم لتؤول فيما بعد إليه فكينونة الكائنات هي لا- كائن، واللا - كائن، يساوي العدم و/العدم هو سر وجود الكائنات جميعا. إن العدم والوجود تشترك فيهما كل الكائنات، إلا أنّ العدم هو الشرط الأساسي في تكوينها لأنّه ثابت على عكس الوجود الذي يحكمه قانون التطور و التغيّر فكلّ الكائنات الموجودة زائلة إلا الإنسان. فهو كائن محدّد بالموت. إنّه الخاصية الوجودية المكوّنة له. هناك فرق آخر يميز الإنسان عن باقي الكائنات وهو أنه الوحيد القادر على التساؤل، الحامل للقول والحافظ له. إنه الكائن الذي يعي زمانيته وحياته المؤقتة. كيف نعرف؟ وما هي الأشياء التي نملك إمكانية معرفتها؟ وما شروطها؟

إن الأشياء الثابتة يسهل معرفتها، بينما المتغيّر يشكّل عائقا في عمليّة المعرفة. ولهذا يقول أفلاطون أن الصور العقلية أكثر ثباتا. فماذا إذن عن ذلك المتخفي المنسحب الذي لا يشغل حيزا، لا في المكان ولا

في الزمان، هل معرفته ممكنة؟ هل صحيح أنه لا وجود لإمكانية واحدة على الأقل تسمح لنا بمعرفته؟ أم نترتب قليلا ونبحث عن طريق مختلف، طريق آخر يوصلنا إليه؟ ربما علينا أن نبدأ بالعلاقة فالكينونة هي علاقة تربط الموجودات باللا وجود لأن كينونة الكائنات هي لا- كائن واللاكائن = العدم. الكينونة هي علاقة النور بالظلام علاقة الحضور بالغياب. ولكن هل يمكن أن يجتمع الشيء بمقابله؟ إن كان الأمر كذلك بالنسبة إلى هيدغر، فذلك يدعونا إلى إعادة النظر في المنطق الأرسطي. فالمبدأ الوحيد في الفلسفة، المبدأ الذي لا يقبل الشك المبدأ الذي لا يختلف فيه اثنان هو "مبدأ عدم التناقض". هذا يدعونا إلى إعادة النظر في هذه النقطة بالذات نقطة التقابل ولكن علينا أن ننتبه بأن التضاد يختلف عن التناقض فهل المتقابلات هي متناقضات هل هي ثنائيات أو وحدة متكاملة؟ نقطة مهمة نفصل فيها بعد قليل.

هيدغروفن التمييز بين العلوم

لقد ميّز هيدغر في مشروعه التحققي بين العلوم ووضع لكل منها حدودها وشروطها وموضوعها. هيدغر يتقن فن التمييز، وهو فن نادر، يعدّ من أهم فلاسفة العصر 20 لأنه فهم ما تعنيه الفلسفة وما هي التيولوجيا وما هو العلم وخصوصا ما هو التفكير. وإن تحدّثنا بلغة المنطق فإننا نقول: إن الانشغال بالبحث عن هذا الجانب المظلم من الوجود هو عبث ومغامرة لا نتوقع نتائجها. ولكن من كان يقول في عصر الأنوار أن البحث في الجانب المضيء من الوجود أن "العقل" وهو الملكة التي يفترض أن تجنّبنا الوقوع في أوهام ومغالطات الحس قد تضيّع طريقها (مساقها)، فنضيع بضائعها ونتّجه اتّجاهها مناقضا للحقيقة؟ فلطالما تتبّعنا خطواتها مطمئنين دون أدنى شك في قدراتها فسارت بنا على حافة الطريق سيرا غير قويم. إنّ حقيقة الكينونة قد قمعتها الذاتية المتمثلة في الجماهير. فاستمرت العلاقة في الاختباء والتواري ولكن حين نتذكر ضرورة التفكير في حقيقة الكينونة ستصبح جديرة بالتفكير. أراد هيدغر تحطيم المنطق العقلي الكلاسيكي ليأخذ بعين الاعتبار في بناءه الجديد منطقا مختلفا إذ لا وجود لبناء دون هدم. أعاد هيدغر الاعتبار للحالات العاطفية والتي يسمّيها « Les dispositifs affectives » هذه الأعضاء تختلف عن الأعضاء المسئولة عن الحس. هذا التصور لمفكر الغابة السوداء يعدّ ثورة في تاريخ الأفكار الفلسفية. فالتفكير لا يقتصر على العقل وحده بل على وحدة الدارين ككل. إنّ مركزية "العقل" في التفكير هي التي جعلت الكينونة أمرا منسيا. هذا يعني أن العقل ليس الطريق الوحيد للوصول إلى الحقيقة. هو أيضا قد ينتج الأوهام واللا حقيقة. وهنا نتساءل: إذا كان العقل يدرس المادة الموجودة تحت النظر بالخبرة وبمنطق العقل (هو منهج العلوم الوضعية) فبأي منطق يمكننا أن نلج عالم اللا- كائن (أي عالم الكينونة)؟

نفتح باب العدم وندخله بمنطق القلق، باعتباره الحالة الشعورية الوحيدة التي يمكنها أن تدخل دائرة العدم

إنه منطق الكلمة الشعرية. إنه منطق الكشف، منطق القول الشعري. كيف ذلك؟ أيعقل أن يكون الشعر القائم على اللا واقع، أي على الخيال الواسع، وعلى الإبداع، طريقا نحو الحقيقة؟ والعقل الذي يبحث في الوقائع الحسية ويطابقها مع صورتها المجردة، قد ينحرف عنها؟ أيعقل أن تكشف لنا الأسطورة الشعرية (الشعر الأسطوري) حقيقة الكينونة؟

يعدّ التراث الفكري القبسقراطي، ثروة فكرية حافلة بالأساطير والقصائد الشعرية. الشيء الذي جعل هيدغريرى بضرورة العودة إلى فكر الأوائل. والوقوف عند أصول معاني الأقوال والكلمات الإغريقية.

Kρυπτεσθαι φιλει في الشذرة B123 ، "الطبيعة وفقا لهرقليدس (طبيعة الأمور) يعجبها التخلي"¹ يتحدث هنا هيروقليدس عن الطبيعة ك طابع وحقيقة، خفية تكمن في الكون وتنتظر من يكشفها ويرفع الحجاب عنها. Φυσις هنا تعني جوهر الأشياء وطبائعها كما هو في الشذرة B1 وليست بمعنى الواقع الخارجي. التخلي أو الاحتجاب عن النظر باليونانية κρυπτεσθαι، ولكن كيف يمكن رفع الحجاب عن الطبيعة (الحقيقة) المعجبة بالتخلي؟

رفع الحجاب عن الطبيعة المحتجبة يكون بالسمع والقول أي باللوغوس

ولكن باللوغوس الأبفونتيكوس أو السيمونتيكوس؟

باللوغوس وحده، يمكننا كشف حجاب الحقيقة وإدراكها. ولكن القول أنواع. فالتخلي راجع لغياب الأداة اللازمة لرفع الحجاب أي غياب الحكيم. وغياب الحكيم راجع لغياب الشاعر وهذا الأخير غائب لأنه لا يجد لنفسه مكانا بيننا. فعالم بلا شعر، كجسد بلا نبض بلا قلب بلا حياة. فإذا ذهب الشعر ذهب معه كل شيء ونضرب مثالا عن النقوش الموجودة على أبنية المساجد العائدة إلى القرن 16 بعد سقوط الأندلس في تلمسان. هذه النقوش عجزنا اليوم في القرن 21 عن القيام بنقوش تشبهها، وحتى نمط العمارة فقدناه لأننا فقدنا الشعر في العالم.

فقدان الشعر هو نتيجة لفقدان الفكر وهذا يؤدي إلى فقدان القول فيصبح القول مبتذلا. يصبح القول ثرثرة لا أكثر

فكرنا اليوم هو فكر براغماتي أي أداتي والقول في أيامنا هذه هو قول لا أصيل (ثرثرة) قول مزيف يقدمه من يزعم امتلاك المعرفة واللوغوس. ولكن ماذا نعني بكلمة لوغوس λoγoς ؟

تعريف كلمة λoγoς اللوغوس

¹ د. هدى الخولي، هيروقليدس، ص 289.

إنّها شذرات قليلة بقيت لتضيء لنا الطريق. ما يدفعنا للتساؤل، ما الذي يجب التفكير فيه تحت هذا الاسم "لوغوس" في الشذرة B50 لهيرقليدس؟

يقول هيروقليدس في هذه الشذرة:

Ουχ εμου αλλα του λογου αχοθσαντας
Ομολογειν σοφον εστιν "Εν παντα"¹

وهذه أحد الترجمات: إن لم أكن أنا لكن المعنى الذي سمعته، إنّه من الحكمة أن نقول في نفس المعنى "الكل واحد" Tout est Un

الجملة تتحدث عن السماع "αχουειν" كفعل إرادي وعن شيء قد تمّ سماعه. تتحدث الشذرة عن ομολογειν وهو فعل السماع. هو قول الشيء نفسه عن λογος فالقول هو الشيء الذي قيل عن الأنا La chose dite d' εγω عن المفكر نفسه، مع العلم بأنه يتحدث λογων. هيروقليدس يقصد هنا بأنّ السماع والقول شيء واحد. فالوقت الذي يصدر فيه القول هو نفسه الوقت الذي يتم فيه سماع هذا القول. هو "الكل" "Εν παντα" هذا هو ما يعنيه اللوغوس وهذا يعني أنّ فهمنا العادي أي فهمنا المتعلّق باليومي، نحن الذين جئنا متأخرين كما يقول هيروقليدس وزملاؤه في الدرب الذين كانوا قد ذهبوا بدون شك إلى ما هو أبعد من الممكن. فالعالم بأسره واقع في الإدّعاء² « Le monde entier est dans la prétention » وربما في انتظار أن نجيب بطريقة أفضل على فكره، علينا أن نوافق مع الاحتفاظ ببعض الغموض. هذا السرّ ليس فقط موجودا أمانا. كان كذلك بالنسبة للسابقين وهو سر غير موجود بالنسبة لنا ولهم فقط. ولكنّه سرّ باق في الشيء المفكر فيه نفسه. نقرب منه ولكنّ نتراجع في كل مرة أمامه.

هذا الغموض حتى نتمكن من رؤيته يجب قبل كل شيء أن يكون واضحا. ما الذي يقصد به "لوغوس" وما يعنيه "لغين" Λογος و λεγειν ؟

منذ القدم، بالنسبة لهيدغر قد تمّ تأويل كلمة λογος بطرق مختلفة ك : ratio، كقانون عام verum عن ما هو منطقي، ضرورة التفكير، المعنى. العقل بلا توقف يترك صدى النداء "نداء العقل" كنداء للمعيار، أو للقانون أو للقاعدة التي تحدّد ما يجب فعله وما لا يجب فعله ولكنّ ماذا يمكن للعقل فعله عندما يلتقي باللاعقل واللا معقول؟ إنّ التجاهل يجعلنا لا نفكر وننسى أن نفكر في تردّد كينونة العقل وأن نلتزم في طريق مجيئه وتوجّهه نحونا. ماذا ننتظر من المنطق λογιχη επιστημη لكل نوع إذا كنا دائما نحذف الحذر من λογος ونتبع كينونته الأولى؟

ما هو اللوغوس أو ما يعنيه λογος، نجده في كلمة λεγειν. ولكن ما تعنيه هذه الكلمة؟ إنّ أي شخص يعرف القليل من الإغريقية يعلم أنّ λεγειν تعني "يقول" و "ما قيل"

¹ - Martin Heidegger, *Essays et conférences*, trad : André Préau et préfacé par Jean Beaufret, Gallimard, p. 250

² - Ibid., p. 250

Λογος تعني في الوقت نفسه λεγειν و λεγομενον يقول وما قيل إذ لا يمكن أن نقول إلا إذا سمعنا أولا

كيف تنكرنا منذ البداية، بداية اللغة اليونانية إلى λεγειν الذي يعني فعلا، السماع والقول. وبهذا لا يتكلم بطريقة جيدة إلا من كان منصتا جيّدا. هيدغر يعلمنا الإنصات قبل القول.

الكيونة والشعر

كيف كان الشعر مع سقراط قبل 2500 عاما خداعا، ليتحوّل اليوم مع هيدغر إلى النقيض إلى مؤسس للكينونة؟ ولكن الشعر كان كذلك مع الشعراء القبسقراطيين. ولهذا كانت العودة إليهم نقطة محورية في مسألة الكينونة. وإن كان سقراط قد وجد ضرورة للشعر إلا أنّه يقرّ أيضا بضرورة فرض قواعد وقوالب للشعراء حتّى ينظّموا على أساسها أشعارهم. يقول بأنّه لا بدّ من فحص الأساطير وبعناية كبيرة. لأنّه إن كان الغرض من ورائها تربويا فإنّها ستترك بصمة قويّة، لا يمكن للزمن محوها¹ وهنا علينا أن نتوقف عند قوة القول الشعري في الميدان التربوي.

ما الشعر؟ وما هي اللغة؟

1- الشعر

الفن هو لمسة الكينونة في العمل الفني
الشعر poésie هو تسمية الأشياء، وليس محاكاة لها على قول أفلاطون. حتّى أنّه قام ب طرد الشعراء من جمهوريته (الكتاب العاشر) لأنّ التقليد في نظره بعيد عن الحق.²
الفعل "يسمّي" جذره في اللغة اليونانية γνο gno وتعني "معرفة" ولكنّ اللغة العادية أيضا تسمّي الأشياء بأسمائها. إنّ الشاعر يسمّي الأشياء بما هي عليه وليست هذه التسمية مجرد وضع إسم لشيء معروف من قبل جيّدا. بل حين ينطق الشاعر بالكلام الجوهري حينئذ فحسب يسمّي الوجود بهذه التسمية على ما هو عليه ويقرّ على هذا النحو بوصفه موجودا.
التسمية هي مناداة هي استحضار الغائب البعيد. ولهذا فإنّ الآلهة بحاجة إلى كلام الشّاعر لتظهر. الشّاعر يتقن فنّ استحضار الحاضر الغائب، إنّّه الوحيد القادر على الإفصاح عن الأشياء التي لا يمكن تسميتها باللغة العادية المسجونة في قوالب الحسن المشترك.

¹ - Platon, *la république*, livre 10, (B-376d-383c), p. 126 -133

« Parmi les arts des muses, il faut examiner avec grand soin les fables »

² - Ibid., 598a-d- p. 485.

الشعر باللغة اليونانية $\rho\omicron\epsilon\sigma\iota\varsigma$ وتعني نشاط أو فعل. أي "عمل إبداعي".
Dichtung باللغة الألمانية ليس مجرد مقطوعات من أبيات شعرية فحسب. هذا القول يعني النشاط
الذي ينتج كشفاً انطولوجياً. ترجمت هذه الكلمة إلى $po\acute{e}matic$ من طرف المترجم الفرنسي Henry
Corbin وهي كلمة مشتقة من الكلمة اليونانية $poiema$
 $\rho\omicron\iota\eta\mu\alpha$ ¹ وهو إبداع أدبي ميزته الأساسية الأبيات الشعرية. ولكن قد نجد أيضاً عملاً شعرياً en
prose الكلمة اليونانية $poiema$ تستعمل هنا بمعنى "باشر" لأن شاعر الأمر تعني بدأه أو باشره في
الشعر.²

ولكن إذا كانت ماهية الشعر هي تسمية الأشياء، كيف نسبيّ اللاشيء؟ أنسميّه عندما أو إليها
هل العدم تسمية أو إشارة؟ فلطالما كانت الإشارات لغة إلهية منذ عصور خلت. وربما اللغة الشعرية
هي لغة رمزية ثرية بالإشارات.

2- اللغة

-3

"اللغة هي مأوى الكينونة"³ اللغة هي التي تحدّد الكينونة هي ماهيتها. اللغة تفكر في الكينونة
Le langage pense اللغة سابقة للفكر انطولوجياً فليس الفكر من أنتج اللغة بل العكس
ولكن ما هي أخطر لحظة زمنية؟ هل هي اللحظة التي تكشف فيها الكينونة عن نفسها فتكون بذلك
أخطر لحظة هي لحظة الإفصاح والقول؟ أم هي اللحظة الزمنية التي تتوارى فيها وتصمت عن الكلام؟
فتكون بذلك أخطر لحظة زمنية في التاريخ هي لحظة الصمت والسكون. فيصبح صمتها شبيهاً بصمت
الأموات.

لحظة الإفصاح والقول (التكشف) هي الكينونة في حالة انبثاق
لحظة الصمت هي لحظة اللا كائن، هي العدم هي الفراغ
الإثنان تربطهما علاقة حميمة إذ لا يصمت إلا المتكلم. والمتكلم لا يكشف دائماً عن كل مكنوناته
فالصمت انسحاب وتواري وإختباء.

كل لحظة منهما أخطر من الأخرى والاثنان يمثلان لحظة زمنية واحدة ففي نفس اللحظة الزمنية التي
تكشف فيها الكينونة وتفصح عن حقيقتها، تصمت وتتوارى بعيداً عن النظر. هي رثاية غير مكتملة،
ككأس نبيد لا هو مملوء ولا هو فارغ. وهكذا يكون الإفصاح أخطر لحظة زمنية في التاريخ، لأن لحظة
الصمت، لحظة السكون، هي لحظة اللا تاريخ.

¹ - Dictionnaire, Le rober scott, Henry George, English lexicon, 1889.

² مارتن هيدغر، ما الفلسفة، ترجمة فؤاد كامل، محمود رجب، دار الثقافة للنشر والطباعة القاهرة، 1974، ص 139.

³ Martin Heidegger, *Lettre sur l'humanisme*, Traduit par Roger Munier, Aubier Montaigne, p. 163 « Le langage est la maison de l'Etre et l'abri de l'essence de l'homme »

ففي القول يوجد انطواء، يمنعنا من رؤية واضحة مكتملة، القول غير قادر على أن يجمع في قبضة واحدة كلّ زوايا وأطراف الحديث، ليعطينا في الأخير رؤية واحدة موحّدة. فإذا تحدّثنا عن كينونة الكائن، فإننا نقصد بذلك الكائن في كليته ولا نقصد الجزء المضيء منه فحسب فالجانب المعتم المظلم أيضا يحتاج إلى نظر ولكنّ نظر من نوع آخر. نظر ثاقب يملك القدرة على اختراق الحواجز ليصل إلى سرّ الكينونة في جانبها المنسحب المتخفي. ولكنّ ما هو هذا النظر الذي يمكنه اختراق ستار الليل الحالّك المظلم ليدخل دائرة الكينونة؟ ما هو هذا النظر الذي يملك الجرأة فيطرق باب المجهول، فيفتح له المجهول أبوابه؟

النظر يونانيا

النظر عند اليونان هو التلقّي والشّاعر يملك القدرة على تلقّي التجلّي أي التّكشف والحضور فالمعرفة الشعرية هي معرفة بالكينونة وأسرارها، هي استسلام لتجلّيها لا تحكّم بها. فقيمة الشعر تكمن في قدرته على الإفصاح عن حقيقة الكينونة.

ماهية الشعر هي تسمية الأشياء

هل العدم تسمية أم إشارة؟ إذا كان إشارة، فإنّ الإشارة هي لغة الآلهة.

ماهية الكينونة هي اللغة واللغة تنتج ما تقول "ولكن كيف للكينونة أن تتكلّم؟

اللغة (تفكر) هي فكر

الكينونة (تفكر) هي أيضا فكر

والإنسان (يملك القول) أي يملك لغة، هل هذا يعني أنّ الإنسان لا يفكر؟ هو لا ينتج فكرا بل يستقبل فكرا؟

الإنسان هو الوعاء الذي تخزّن فيه الكينونة فكرها ليخرج إلى النور فيما بعد عن طريق "القول" ولكن ليس أيّ قول إنّّه "القول الشعري".

الإنسان هو الخط الفاصل بين الكينونة واللغة. فإن كان منصتا جيّدا فإنه سيستقبل إشارات الكينونة ليصوغها فيما بعد في قالب شعري جميل. فاللغة العادية لا تفكر ولا يمكنها تسمية الكينونة. اللغة العادية مسؤولة عن نسيان الكينونة.

لقد همش الفن وتم تجاهله فلم يعد له مكان في المجتمع. هذا النسيان الإرادي أو اللاإرادي للفن، نتج عنه نسيان الكينونة. ولكنّ لماذا الفن بالتحديد؟ لأنّ الفن لا حدود له الفنّ متحرر من قواعد المجتمع البشري مثله مثل امرأة مغامرة لا تعترف بالحواجز. امرأة كالطبيعة، تأبى الجدران والقضبان، امرأة تريد الانفتاح و ترفض الأبواب المغلقة. فإن وجد هذا الفن المتحرر فهو قادر على اجتياز "نسيان

الكيّونة". أما اللغة العادية و الفكر الشائع، لا يستطيعان الخروج عن الحدود التي سطرّت من قبل المناطق والنحويين. هو قالب مغلق لا يسمح لغيرهم بالدخول إليه.

الشعر وحده، له القدرة والجرأة على الوقوف أمام باب الكيّونة منتظرا بلا كلل أو ملل، ففي انتظارها متعة. حيث يقف الشاعر منتصبا أمام ما سيأتي على عتبة الباطن لا الظاهر على عتبة المجهول المنتظر. كعطشان يحتاج إلى أن يروي ظمأه ليجد نفسه غريقا في غياهب الجبّ. فما سيأتي يدخل باب الممكن « le possible » والممكن هو نمط من أنماط الكيّونة وإن كان يمثل نقطة زمنية في اللاّ زمن. Le futur n'est pas encore là mais il est.

مثال على ذلك: الموت هو الإمكانية القصوى للإمكانية الدازين، فكل إنسان محكوم بتجربة الموت ولكنّه لا يعرف متى وأين يعيشها. Cette possibilité n'est pas encore là, mais elle est, elle existe.

اللغة تفكر والقول يقول: le langage pense et la parole parle

الإنسان هو الذي يقول، ولكن ليس هو من يفكر. اللغة هي التي تفكر من خلاله واللغة لم ينتجها الإنسان. اللغة ليست أداة يملكها الإنسان إلى جانب غيرها من الأدوات. اللغة هي التي صنعت الإنسان. وما يقوله ليس سوى تكرار لصدى القول فينا. القول هو إنصات لصوت كيّونة الكائن-هنا.

Le pense en moi de schilling، نفس الفكرة نجدها عند ابن رشد، هذا الغريب الذي يفكر بداخلنا.

وتطوّرت الفكرة لتعطينا صيغة جديدة مع هيدغر وهي الحيرة الغريبة « l'inquiétude étrangeté »

الكلمة الشعرية هي أساس الكيّونة، لأنّ للقول الشعري، قدرة على التّفاذ إلى سرّ الكيّونة وغموضها فالشاعر بقوله يلخّص لنا الكيّونة في بضع كلمات. هو المختار، الموحى إليه من طرف آلهات الشعر les muses هو ضيف مقيم في جوارها وقريب منها. والآلهة هنا لا تحمل المعنى الذي تعودنا عليه وإنّما هي الحضور الدائم للاختباء. فالشاعر يميل ويرغب دائما في الاقتراب من الجانب المظلم للكيّونة. لا يهّمه قراءة السواد المكتوب على صفحاتها بقدر ما يهّمه ذلك البياض المشعّ المنير بين السطور.

الفكر والشعر واللغة

كلها معنية بفعل الكيّونة. الكيّونة هو الاسم الأفلاطوني والأرسطي. وهي مرادفة للفظ اليوناني οὐσία أما باللغة الألمانية فالكلمة الحيادية Anwesen تبقى كلمة معتمدة مظلمة. معناها مهم وغير واضح. ولكن إذا أضفنا في آخر الكلمة: « Heit » تصبح « Anwesenheit » وهو لفظ مؤنث ويعني النور الخالص الخاص ب : ال « Anwesen »¹. إذا كنا قد نسينا الكيّونة فأين وكيف كنّا من دونها؟ نحن الذين لا نكون إلا بها؟ هل كنّا أمواتا أحياء؟ وهل نتذكّرها اليوم؟ أم مازلنا نحوم كالهوم بين ضرائح النسيان؟

¹ Jean Beaufret, *Dialogue avec Heidegger*, Editions : Minuit, 1985, p. 90

إنَّ فعل الكينونة « Être » الذي قال عنه Valéry أنّه فعل "تافه"، هراء ليس إلّا، يعدّ فعل الأفعال جميعا بالنسبة للإغريق. إنّ تسمية الأساس « Nomination de l'essentiel » في كتاب نيتشه « Le gai savoir » يتساءل عن موضوع l'originalité ويجب نفسه قائلا:

"إنّه رؤية شيء لم يحمل إسماء بعد... مع أنّ الجميع يملكونه تحت أعينهم... فالأصول في أغلب الأحيان كانت هي التي تمنح أو تعطي الأسماء"¹ فبالنسبة للأوائل الغموض يسكن في الشيء المفكر فيه. هذا الغموض الذي كلّما اقتربنا منه، نبدأ في الوقت نفسه بالتراجع. ولكي نرى الغموض عليه أن يكون أولاً نورا éclairci وهذا ما يعنيه λόγος وهو نفسه ما تعنيه كلمة λεγεῖν هذا يعني أنّ القول يحمل صفة الإظهار والكشف.

في المناخ الفكري اليوناني والنيتشوي، يجد هيدغر صدى لفكره. ولكن في ماذا أعاد هيدغر طرح سؤال الميتافيزيقا؟ وكيف جعل من علاقة الكينونة بالزمان سؤالاً مركزياً؟ وهل نتفكر في الكينونة في أفق الزمان أو العكس؟

الوضع الأساسي الذي أعاد فيه هيدغر طرح سؤال الكينونة هو الشعر؟ وإنه بقولنا "وضع" فإننا نعود إلى أطروحة كانط سنة 1763 حيث قال أنّ الكينونة لا تريد أن تقول شيئاً آخر سوى ما يقوله مفهوم "الوضع" أو "الوضعية" Position هذه هي أطروحة كانط حول الكينونة.

هرقليدس.

منذ بداية دروسه وحتى وفاته لم يتوقف هيدغر عن قراءة وإعادة قراءة هيرقليدس. لم يتوقف عن تأويله وإعادة تأويله مرة أخرى. عن ترجمته وإعادة الترجمة مرّات عديدة وتأمّل أقواله المفكرة. في سنة 1953 كتب إلى حنة أرنت: في هذه اللحظة عدت إلى هيرقليدس. الحوار معه ومع برمنيدس، لا يتركان لي مجالاً للراحة. ما هي الحدود وما هي الطرق التي يتساءل فيها كل منهما. وبالرغم من التأويلات الكثيرة إلّا أنّ مجال التأويل مازال مفتوحاً.²

Λογος في فكرة الكينونة (sein) هو حضور (حضور الكائن الظاهر كلوغوس ο'λογος ك"وضع القبض" la pose recueillante ولكن سرعة الكينونة هذه بقيت منسية وهذا النسيان من جهته جعلها مرئية حتى أنّ مفهوم كلمة λόγος تحوّل هو الآخر. لهذا فإنّه منذ البداية ولوقت طويل لم نستطع أن نشك في كلمة "لوغوس" فكينونة الكائن نفسه كان يمكن لها أن تكون "الإتيان به إلى القول"³ والإتيان به إلى القول تعني: شرح شيء ما بالفم أو الكتابة. الإتيان بالكينونة (sein) إلى وضع

¹ - Ibid., p. 89

² Le dictionnaire de M. Heidegger, *Héraclite*.

³ Martin Heidegger, *Essais et conférences*, p. 276.

الحماية في كينونة القول *wesen*. فعندما أصبح *λογος* هو الكلمة العمدة في فكر هيرقليدس فذلك لأنه كان الإسم المعطى لكينونة الكائن.

O λογος το λεγειν = la pose recueillante ولكن لدى الإغريق كلمة *λεγειν* تعني أيضا "عرض، قدّم، حكى، قال، ماذا تعني اللغة؟"

اللغة تعني جمع ما هو حاضر وتركه يتمدد أو ينتشرها أمامنا في حضوره في الواقع. كان اليونانون يسكنون في كينونة اللغة هذه ولكنهم لم يفكروا فيها على هذا النحو إطلاقا. وحتى هيرقليدس لم يفكر فيها على هذا النحو.¹ ماذا كان سيحدث لو فكروا فيها على هذا النحو؟ أعني كينونة اللغة كـ *λογος* أو كـ "موضع القبض"؟ كانوا قد فكروا في كينونة اللغة انطلاقا من كينونة الكينونة *wesen des sein*. إنّ اللوغوس هو الذي يعيّن كينونة الكائن. ويقول هيدغر أنه لم يجد أي أثر في أي مكان يمكن من خلاله افتراض أنّ اليونان كانوا قد فكّروا في كينونة اللغة انطلاقا من كينونة الكينونة. يقول ما علمناه هو العكس. لقد فكروا فيها انطلاقا من "المهمة الصوتية" أي كـ *φωνη* كصوت *son de voix*. ما يقابل اللغة باليونانية هي كلمة: *γλῶσσα*

اللغة = *φωνη' σημαντικη* وهي مهمة صوتية تعني شيئا ما. لقد استقبلت اللغة منذ البداية هذه الميزة الأساسية التي أطلقنا عليها كلمة "العبارة". هذا التمثيل بدون شك صحيح *exacte* ولكنه خارج اللغة. فاللغة كـ "عبارة" تبقى محدّدة. هي هكذا في أيامنا هذه أو في عصرنا هذا.

عندما فكّر هيرقليدس في *λογος* ككلمة موجهة حتى نفكر فيه كينونة الكائن كانت الإنارة أو الضوء الذي نتقبض به على الغموض ينطفأ فجأة وبهذا لا أحد يستطيع التقبض على شعاعه ولا حتى على ذلك القريب ينيره فلا نراه إلا إذا دخلنا في إعصار الكينونة. ولكن اليوم الكل يشير إليه. نحن نبحث فقط عن ابعاد الإعصار بكل الوسائل الممكنة ووضعه جانبا. حتى أنّنا ننظّم طلقا ناريّا *un tir* ضده وذلك كي لا يزعج هدوءنا. إلا أنّ هذه الأخيرة ليست سوى لا مبالاة وخمولا. إنّها لا مبالاة القلق *l'apathie de l'angoisse* أمام الفكر. إنّ القول الخاص بالفكر فقير الصورة (*l'image par apport à l'être est pauvre en image et sans attrait*) وبدون عوامل جذب أو إغراء فإن كنا ننجذب للحضور فلا أحد يعلم بعد إغراء الظلام أكثر من هيدغر. هذا القول لا يعرف قائله. إنّّه يستقرّ فيما يقودنا إلى ما قيل إنّ الفكر قد يحوّل العالم ويجعله ينزل منزلة العمق الأكثر سوادا (ظلاما) أين يصمت الغموض (السر) ويمتنع عن الكلام. (السر) ظلامه الذي لا ظلام بعده هو هذا العمق والقمة الأكثر علوّا هي هذه البداة والوضوح الذي يعدنا به هذا السر الغامض. السر الغامض اقترح منذ زمن بعيد في كلمة "الكينونة" ولهذا ظلّ مؤقتا. إذ لا يجب أن نركض خلفه مغمضي الأعين (أو بعينين

¹ Ibid., p. 277

مغمضتين). علينا أن نأخذ بعين الاعتبار وقبل كل شيء أنّ أصل كلمة "كينونة" يعني "حضور" والحضور يحدث ويدوم في اللاتحجب.¹

Λογος نجده في الفعل λεγειν ويعني قال أو تحدّث، ولكن الفعل قال أكثر دقّة من الفعل تحدّث. الفعل λεγειν يعني وضع الشيء في حالة استرخاء (في موضع النائم) ولكن كيف تحوّل المعنى من الفعل "قال" إلى "وضع الشيء في حالة راحة" أي وضعه في موضع الحماية؟ فعندما يقطف الفلاح المحصول فنتيجة الاقطفاف في نهاية المطاف هي الحفاظ عليه أو وضعه في مكان آمن. إذن نتيجة الاقطفاف = الحماية.

هذه الحالة هي المسيطرة هنا وفيها يسكن هم إقامة الحماية أو الرعاية "حماية الكينونة في القول". كذلك أفلاطون قبله الذي اعتبر أنّ الكائن في كينونته "فكرة" eidos ومن بين الأقوال الفريدة والمميزة في الميتافيزيقا قول أرسطو: "الكائن في كينونته يقال بطرق متعددة" وهكذا يطرح هيدغر السؤال حول هذا الذي يوحد التعددية. ولا يملّ أبدا من العودة إلى الغموض الأرسطي المتعلّق بالكينونة. هل هي واحدة من بين المقولات الأرسطية الأربعة؟ أرسطو يقول ولا أي واحدة منها، لأنها جميعا تنظر في اتجاه الواحد To εον.

برمنيدس Moira VIII-34-41

الحوار مع برمنيدس، لا نهاية له. وهذا ليس عيبا على العكس تماما. إنّ إشارة على لا محدوديته وربّما يكون فيه امكانية تحوّل في قدر Moira الإنسانية. هذا ما قاله هيدغر.

علاقة الفكر بالكينونة

لقد حركت علاقة الفكر بالكينونة كيان الفكر الغربي وفي هذه العلاقة أعطى برمنيدس إسما لحكمته sentence. « Car la même chose sont pensée et être

To γαρ αυτο νοειν εστιν τε και ειναι

الفكر والكينونة هما شيء واحد. فما دمنا قد فكّرنا فيها فهي كينونة. إذ لا يفكّر المرء في اللاكينونة. برمنيدس يشرح نفس الحكمة في مكان آخر في الشذرة VIII 34-41 حيث يقول: بدون الكائن الذي يسكنه الفكر كقول لا وجود لفكر. من المؤكد أنّه لا وجود لشيء أو لا يمكن أن يوجد شيء خارج الكائن. لأن Moira فرضت عليه أن يكون الكل ولا متحرك (ساكن). سوف لن يكون إلا إسما لكل ما وضعه له البشر، مقتنعين أنّه الحق: "ما هو آت" هو نفسه "ما مضى"، "كينونة" هي نفسها "لاكينونة"، تغيير المكان هو نفسه "العبور من لون يلمع إلى لون آخر. (ترجمتي الخاصة)²

¹ Ibid., p. 278.

² Ibid., p. 279

Ταυτον δ' ἐστι νοεῖν τε καὶ συνεχὲν ἐστὶ νοῆμα οὐ γὰρ ἀνεὺ τοῦ ἐόντος, ἐν ᾧ πεφασισμένον ἐστὶν, εὐρησεῖς τὸ νοεῖν: οὐδὲν γὰρ ἡ ἐστὶν ἡ ἐστα, ἀλλοπαρεῖς τοῦ ἐόντος, ἐπεὶ τὸ γε Μοῖρ' ἐπεδὴ σεν οὐ λὸν ἀκίνητον τ' ἐμμεῶναι: τὸ παντ' ὄνομ' ἐστα, ὅσσα βροτοὶ κατεθευτο πεποτθότες εἶναι ἀληθῆ γίγνεσθαι τε καὶ ὀλλυσθαι εἶναι τε καὶ οὐχί, καὶ τόπον ἀλλάσσειν διατεχρόα φανὸν ἀμειβεῖν.

ما هو الشيء الذي يمكن أن تبينه هذه الأبيات الشعرية الثمانية في علاقة الفكر بالكينونة؟ فعلى ما يبدو قد زادت في غموضها. مع العلم أنّ من يسلك طريقا مظلما سيشعر بالحيرة والارتباك لذا علينا أن نثقف أنفسنا أولا وقبل كل شيء فيما يخص هذه العلاقة. ونتتبع في هذه الطرق الأساسية مختلف التأويلات المعطاة إلى يومنا هذا. فكلّها تدور وتتحرك في واحدة من وجهات النظر الثلاثة التي سنذكرها باختصار:

1- الفكر = الكينونة (أطروحة الحداثة)

علاقة الفكر بالكينونة من أكبر المشاكل في الفلسفة الحديثة. فلكي نكتشف الفكر، من وجهة نظر يظهر فيها هو أيضا كشيء موجود هنا، بجانب أشياء كثيرة. بطريقة تكون موجودة. بهذا المعنى (نفس وحدة الكائن تسمى "الكينونة") فالفكر كشيء موجود يتوافق فيها مع طبيعة كل شيء موجود: هو يظهر ككائن مساوي أو مطابق للكينونة.

2- في الشذرة III يقول برمنيدس أنّ الفكر هو جزء من الكينونة ولكن كيف نميز هذا

الانتماء؟ لقد جاءت الإجابة في كلماته الأولى: το γὰρ αὐτο

A savoir le même ولكن إذا قلنا أنّ الاثنين شيئا واحدا، هذا يمنع وجود امكانية انتماء. لأنّ الانتماء يكون بين شيئين مختلفين.

يساعدنا برمنيدس في الشذرة VIII في كيفية وجوب التفكير في الكينونة التي ينتهي إليها الفكر νοεῖν في مكان εἶναι. يقول برمنيدس هنا εὖν أي الكائن من خلال معناه المزدوج وهنا إشارة إلى المطوية Le pli. ولكن الفكر يسمى الآن νοῆμα¹ (le fond du cœur) أي ما ننتبه إليه من خلال ما يظهر وكأنّ هذا الظاهر، ليس سوى أثرا لحقيقة منسحبة ومنسية. لا يبين قول برمنيدس هنا، إلا نقطة واحدة وهي: إذا كان الفكر موجودا أو حاضرا (est présent) فهذا ليس بسبب لا εὖντα الكائن في ذاته ولا

1- Tra : W. Kranz « Penser et pensée qu'Est est sont une même chose ; car sans l'étant ou elle réside comme chose énoncée, tu ne saurais trouver la pensée. Certes il n'y a rien ou il n'y aura rien hors de l'étant. Puisque la Moira lui a imposé d'être un tout et immobile. Ne sera donc qu'un nom, tout ce que les mortels sont ainsi fixé, convaincus que c'était vrai : « devenir » aussi bien que « périr », « être » aussi bien que « ne pas être », « changer le lieu » aussi bien que « passer d'une couleur brillante à une autre »

¹ Νοεῖν=le percevoir

بالخضوع لإرادة الكينونة *Εἶναι* . بمعنى الكينونة في ذاتها. مقارنة الفكر في طريقها نحو المطوية « le pli de l'être et de l'étant » فحسب الشذرة VI، الاقتراب من المطوية أين يجتمع الكائن بالكينونة، هو الانتباه له. هو ما قد جمعه مسبقا، ليسعى باتجاه الكينونة. وذلك عن طريق عمل *λεγειν* وهو أن يترك الكائن حاضرا وممددا أمامنا. ولكن عن طريق ماذا وكيف؟¹
يجيبنا هيدغر: بالإريغينيس². فما الذي تعنيه هذه الكلمة؟

الإريغينيس كلمة ألمانية تمت ترجمتها من طرف المفكر "فتحي المسكيني" إلى /الملكوت لأن هيدغر لا يفكر في الكينونة عن طريق الكائن. فالكينونة ليست لا الحضور الدائم ولا هوية شيء ما. إنها "العطاء" *Is gibt* الكينونة كـ "إريغينيس" هي فعل حركة الحضور والانسحاب. أي أن اللحظة التي يحضر فيها الكائن هي نفسها التي ينسحب فيها الحضور³. نزع الحجاب عن الحقيقة هو فعل أو حركة تكشف لنا هذا الجانب المتخفي والمنسحب من الكائن لحظة تكشفه. وهو فعل الإريغينيس *Ereignis*. وبهذا يكون هذا الجزء المنسحب المتخفي وراء تجلي الكائنات هو الجزء الأجدر بالبحث والتفكير فيه وليس الكائن فليس هناك شيء أهم بالنسبة للإريغينيس من الانسحاب فهذا الأخير ينتهي إلى ما هو خالص إن استقراء التاريخ أثبت زلزلة التوازن واختلاله جراء إقامة بنيان على عمود واحد. وكيف يستقيم بنيان إن لم يكن مقاما على أركان وقاعدة صلبة. إنه عمود النموذج الحداثي القائم بدوره على عمود العقلانية (النفعية أو البراغماتية) فلا منهج لها سوى منهج العقل فالعقل وحده سيد الكون. هذا شعار الحداثة. إلا أن النموذج العقلي لا يستطيع اختراق جوهر الحقيقة في أقصى مداها. فالرؤية تتضح في مداها البعيد، إذا يشترك فيها العقل والحالات العاطفية. كما أن الفن يحفظ حقيقة تاريخ شعب من الشعوب، وكلما كان الفن منتعشا، كلما حافظ الشعب على حقيقته ولم يخرج عنها. كما يحفظ الفن بدوره التناغم والانسجام. ويحفظ الكائن-هنا في إقامته على الأرض، ويحفظ الأرض أيضا. فكم هي كثرة مجموعة هذه العلاقات التي يمكن للفن الحفاظ عليها، فقط إن أقمنا له مكانا بيننا.

وربما هذا يدعونا لإعادة النظر في البرنامج التربوي التعليمي في بلادنا لننمي الذوق الحقيقي والجميل في النفوس، الحسن والجيد. ونقوي رؤيتنا، لتكون رؤية أبعد من رؤية الموجود كحضور. فنخترق دائرة العدم بكل أبعادها. فالعدم لا يساوي لا شيء فقد يكون اختباءا وعلينا كشفه. وقد يكون تظاهرا وقد يكون خداعا وقد يكون انسحابا. وأكررها مرة أخرى العمل الفني يحفظ حقيقة تاريخ شعب وحرمان شعب من الفن، هو شعب يعيش قطيعة مع الأصل شعب أصيب بمرض النسيان، فالنسيان مؤلم. إن نسيان الإنسان للكينونة فيه معاناة وفوضى. والتذكر مربوط بالعودة إلى الأصل. فالمعرفة على قول

¹ Ibid., p. 279

² Le dictionnaire de M. Heidegger, p. 402 « Ereignis est depuis 1936 le mot qui mène ma pensée »

³ - Le dictionnaire de Martin Heidegger sous la direction de Philippe Arjakovsky- François Fédier, Hadrien France, Lanord, Cerf, 2013, p. 406-407

أفلاطون تذكر ولهذا يطلب منا هيدغر ضرورة العودة إلى الأوائل لتتذكر معهم أصل الكينونة فيتذكرها فقط نحدث الانسجام والتوازن $\Delta\eta\theta\eta = \epsilon\rho\iota\varsigma$, L'oubli = La discorde, souffrance et peine ولهذا يقول هولدرلين: يترك بصعوبة كبيرة المكان من كان يعيش بالقرب من الأصل¹

¹ Martin Heidegger, *L'origine de l'œuvre d'art*, p. 91